دراسة مضامين خلق الكون في أسطورة الخليقة البابلية

م. نسرين أحمد عبد محمد النعيمي
جامعة الموصل – كلية الآثار

الملخص

تدور الأسطورة بصورة رئيسة حول معتقدات العراقيين القدماء بخصوص خلق الكون والآلهة وخلق مختلف الظواهر الكونية والطبيعية وخلق الإنسان. ولهذا فهي تعد من المصادر الأساسية عن المعتقدات الدينية والفكرية لسكان بلاد الرافدين. إلا أن معالجتها للعديد من القضايا لم تكن على أساس موضوعي ومنطقي، فهم كانوا في معالجتهم للقضايا ينظرون إليها دائما من جهة من يحدثها وليس وكيف ولماذا حدثت.

Studying the contents of universe creation in the Babylon creation Myth

Nasren Ahmed Abd Mohammed Al-neeme
University of Mosul- College of Archaeology

Abstract

The myth rounds mainly about the beliefs of the ancient Iraqi people concerning the creation of the universe, the gods, creation of different universal and natural phenomena and man's creation. Thus, it is considered one of the basic resources about the religious and intellectual beliefs for the inhabitants of Mesopotamia. However, its treatment for many of the issues wasn't placed on objective and logical base since they, in their treatment for the issues, were always looking at them from the view of the narrator and not how and why they happened.

المقدمة

اكتشاف الألواح

تضم هذه الأسطورة ما يقارب ألف سطر من الشعر تغطي بمجموعها سبعة ألواح من الطين يحتوي كل لوح ما بين ١١٥ و ١٧٠ سطر أو بيت من الشعر[١]، عرفت لدى الباحثين برقم الخليقة السبعة لأنها دونت على سبعة ألواح من الطين[٢] أو كما سماها البابليون والاشوريون اينوما ايلش enuma eliš (حينا في العلى) نسبة إلى أول عبارة وردت فيها[٣].

ظهرت طلائعها الأولى أثناء التنقيبات التي قام بها اوستن لايارد وهرمز رسام وجورج سمث، ضمن بقايا مكتبة الملك اشور بان ابلي (اشوربانيبال) (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) في نينوى ما بين الأعوام (١٨٤٨-١٨٧٦) ومنذ ذلك الحين بدأت أعداد كبيرة ومهمة من الكسر والألواح الجديدة، بعضها نسخ مكررة بالظهور تباعاً إذ عثر المنقبون الألمان قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ بمدة قصيرة على العديد من الكسر التي تتضمن النسخة الآشورية من الأسطورة البابلية وخصوصاً الألواح (١، ٦، ٧) وذلك أثناء التنقيبات في مدينة اشور، تختلف هذه النسخة عن سابقتها في انها تستبدل باسم اشور كبير الالهة الاشورية، اسم الاله البابلي مردوخ المتصدر مجمع الالهة البابلية، وخلال العامين ١٩٢٤-١٩٢٥م تم اكتشاف لوحين كاملين تقريبا من النسخة البابلية هما اللوح الأول والسادس وذلك أثناء التنقيبات في مدينة كيش كما عثر الالمان في العاملين ١٩٢٨-١٩٢٩م في مدينة الوركاء على كميات من الكسر تعود للوح السابع وبذلك أمكن جمع الملحمة في وحدة كاملة تقريباً من خلال الاكتشافات وبمساعدة النسخ المكررة[٤].

تاريخ وضع القصة

لا نستطيع بوجه التأكيد ان نبت في التاريخ الذي وصفت فيه قصة الخليقة ولكن مما لاشك فيه ان جميع النصوص البابلية التي جاءتنا حتى الآن ما هي الا نسخ من أصول أقدم[٥] فجمع الأساطير التي ظهرت في بلاد الرافدين باسم الاساطير البابلية يكون بضمنها الاساطير السومرية والاكدية، وذلك لعدة عوامل، منها ان الاساطير التي هي اقدم من اساطير العصر البابلي سواء السومرية أو الاكدية، انها لم تدون في تلك الفترات المتقدمة، وثانيا لان تلك الأساطير ظل امتدادها الفكري طيلة عصور طويلة، فانتقلت فكريا من السومريين والاكديين إلى البابليين[٦] ومما يلاحظ أيضاً ان اسماء الالهة والكائنات الوحشية وانواع الرياح التي خلقها مردوخ كلها سومرية حتى الانسان الاولي الذي خلق فقد ذكر باسمه السومري لولو[٧] ثم ان الدور الذي يقوم به الاله مردوخ لا يتفق وشخصية هذا الاله. فمردوخ في الاصل اله زراعي أو لعله اله شمسي، في حين ان دوره في قصة الخليقة هو دور اله العاصفة بينما انليل هو ذلك الاله كما ان

القصة تنسب فصل السماء عن الارض للاله مردوخ كما تعزوها اساطير اخرى إلى الاله انليل هو الذي يعزل السماء عن الارض من قربة منفوخة، عن طريق الهواء الواقع بينهما، ولذلك يبدو ان الاله انليل هو البطل الأصلي في القصة وان استبدل بمردوخ عندما نظمت اقدم النسخ المعروفة لدينا(٨).

أما زمن الالواح التي جاءتنا من مكتبة الملك (اشور بان ابلي) فتعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، أما زمن الرقم التي وجدت في مدينة كيش والوركاء فتعود إلى القرن السادس أو إلى ما بعد ذلك بقليل كما تشير الكتابات الموجودة في حواشي وذيول بعض الالواح إلى ان تاريخها يرقى إلى ما قبل بداية الألف الأول قبل الميلاد(٩)، ويمكن القول ان المتفق عليه بين الباحثين ان اخر جمع وتأليف لقصة الخليقة حدث في اواخر العصر البابلي القديم في حدود (١٥٠٠-١٤٠٠ ق.م) أي ربما في بداية العصر الكشي(١٠)، أما عن قدم الأسطورة فلا يمكن تحديده على وجه الدقة، إذ نجد فيها من الافكار والمواد المذكورة ما يشير إلى الألف الثالث قبل الميلاد(١١).

خلق السماء

منذ الالف الثالث قبل الميلاد وكما تؤكد أغلب المصادر ان لم يكن اقدم من ذلك بكثير تمكن المفكرين والمعلمين السومريين من ان يتوصلوا إلى اجابات مرضية عن المسائل التي اثارتها تأملاتهم في الكون وعن أصل الأشياء فكونوا بذلك اراء وعقائد عن أصل الكون والالهة اتسمت بقدر عظيم من الامتاع العقلي(١٢). يتضح من عبارة انه لم يكن في الاعالي سماء، وفي الأسفل لم يكن هناك ارض بأنه لم يكن في الوجود سوى المياه الأولى ممثلة في ثلاثة الهة ابسو وهو الماء العذب وتيامة زوجته تمثل الماء المالح(١٣)، أما ممو فيعتقد البعض بأنه الامواج المتلاطمة الناشئة عن المياه الأولى ويرى اخرين بأنه الضباب المنتشر فوق تلك المياه والناشيء عنها. هذه الكتلة المائية الأولى كانت تملأ الكون وهي العماء الأول الذي انبثقت منه فيما بعد بقية الالهة والموجودات وكانت الهتها الثلاثة تعيش في حالة سرمدية من السكون والصمت المطلق، ممتزجة ببعضها البعض لا تمايز فيها(١٤)، وهذا يعني ان الأشياء لم تكن متميزة ولم يكن لأي منها وجود خاص أو فعل خاص به. ولم يكن بالتالي وجود للالهة المدبرة للأشياء، لأن الالهة هي لضبط الأنظمة. وفي هذه الحالة لابد من حدوث امر ما للفصل بين الاشياء وتمييزها. وقد استعار الفيلسوف القديم التجربة الانسانية في عملية التمييز هذه فاستعان بعملية التسمية. وبفعل الكلمة الاسم، التي تحدد الموضوع، تم خلق الاشياء التي كانت مندمجة معاً بدون تسميات تميز وجودها وفعلها(١٥).

كما موضح في الأبيان الآتية من اللوح الأول.

١- "حينما في العلى لم يكن (بعد) للسماء اسم.

٢- (و) في الدنى لم تكن الأرض (بعد) قد سميت باسم.

٣- (حينما) لم يكن قط غير "ابسو" المبدأ والأصل، موجدهم.

٤- (و) الام تيامة، التي ولدتهم جميعا.

٥- (حينما) كانت أمواجهما (ما تزالان) تمتزجان معا.

٦- (و) لم تكن اليابسة قد تكونت (و) لا حتى مستنقعات يمكن تبينها.

٧- حينما لم يكن أي من الالهة ترجئ به إلى الوجود.

٨- (حينما) لم يكونوا (بعد) قد وعوا اسماء (هم)، ولم تكن اقدارهم (بعد) قد جرى رسمها.

٩- عندها تم خلق الالهة من بين ثناياهما.

١٠- اتيا بـ لخمو ولخامو إلى الوجود وسميا باسميهما.

١١- ولد هور كيرا (و) اصبحا شامخين.

١٢- ثم خلق انشار وكيشار[١٦]،....

وتستمر القصيدة بسرد الاحداث الاخرى التي وقعت في الكون وفي مقدمتها تلك الثورة العارمة التي شنها جيل الالهة الحديثة على ابائهم الالهة العتيقة، الذين لازمهم الركود واستبدوا بشؤون الكون في حين ان ابناءهم الالهة الحديثة كانت في حركة وصخب وتريد الخلق والتجديد ووضع نواميس جديدة في الكون. فنشب من جراء ذلك صراع عنيف بين القديم والجديد بزعامة احد الالهة الحديثة وهو ايا الذي استطاع ان يشل قوى اله الماء العتيق ابسو[١٧].

ويمكن ان نجد ذلك في ثنايا اللوح الأول:

٢٩- ..... لذا فان ابسو موجد الالهة العظام

٣٥- فتح ابسو فاه

٣٦- وقال لـ تيامة المقدسة

٣٧- سلوكهم بات مصدر ازعاج لي

٣٨- فلا اجد الراحة نهارا، ولا النوم في الليل

٣٩- لسوف ادمرهم تدميرا، واضع بذلك حدا لصنيعهم

٧٣- بعد ان قهر [ايا] خصومه (و) اخضعهم

٧٤- ووطد نصره تماما على اعدائه

٧٥- عاد لينعم بالراحة في مقامه
٧٦- الذي سماه (ابسو) وخصصه للعبادات[١٨].

يتبين مما سبق ان أصل النظام الكوني كان في صراع مستديم بين مبدأين هما القوى الدافعة إلى الحركة والقوة الدافعة إلى السكون أو الخمول. وفي هذا الصراع يتحقق النصر الأول على السكون للسلطة بمفردها ثم يتحقق النصر الثاني للسلطة مرفقة بالقوة. وهذا التطور يعكس، من ناحية تطوراً تاريخياً من التنظيم الاجتماعي البدائي الذي لا يملك الا العرف والسلطة دون دعمها بالقوة لضمان العمل الجماعي من قبل الجماعة، إلى تنظيم الدولة الحقيقية التي يتمتع فيها الحاكم بكلتا السلطة والقوة لضمان العمل الجماعي الذي لابد منه. وهو يعكس من ناحية اخرى الطريقة السوية في الدول المنظمة، لان الدولة أيضاً تستخدم السلطة بمفردها أولاً، ولا تلجأ إلى القوة والاكراه الا اذا عجزت السلطة بمفردها على الحصول على النتيجة المرجوة[١٩] وربما هنالك استنتاجات اخرى من القصة تبين معرفة العراقيين القدماء الطريقة التي تتكون بها مساحات جديدة من الارض في بلادهم فالعراق بلد نشأت ارضه على مر السنين من الطمي الذي يجيء به النهران دجلة والفرات ويرسبانه في المصب من كليهما. وتبين القصة التقاء مياه النهرين العذبة والمتمثلة بالاله ابسو بمياه البحر المالحة والمتمثلة بالالهة تيامة وتمتزج فيها، اما الطمي فقد مثل بأول الالهة وهو لخمو ولخامو. وهو ينفصل عن الماء ويظهر للعين ويتراكم[٢٠].

ثم تذكر القصة رغبة الالهة تيامة الانتقام أو الثأر لزوجها ابسو فشنت الحرب على الالهة الحديثة فتصدى لها الاله مردوخ وبعد صراع شديد استطاع ان يقسم جسم تيامة إلى قسمين أو شقين، صنع من احدهما قبة السماء ومن الاخر الارض، وبذلك قسم المياه إلى مياه فوق الجلد واخرى تحته[٢١].

أي يكون نصفها البحر في الاسفل، ويكون نصفها الاخر السماء، وتثبت السدود فيها لكي لا تتسرب المياه الا بين الحين والاخر حين تهبط في صورة المطر[٢٢].

إذ يذكر اللوح الرابع الآتي:

١٣٥- استراح الاله، وأخذ يتأمل جثتها الهامدة (ليرى)
١٣٦- كيف بوسعه تقسيم هذا الهيكل الضخم (و) ايداع اشياء عجيبة (من ثم)
١٣٧- شطرها نصفين كما تشطر المحارة (؟)
١٣٨- وجه احد نصفيها إلى موضع مكونا (بذلك) السماء
١٣٩- ثبت الركائز (و) عين الحراس

١٤٠- وامرهم الا يتركوا ماءها يتسرب

١٤١- جاز السموات، وفحص مناطقها[٢٣].

ومن المهم ان نلاحظ ايضا فضلاً عن تشخيص ابطال هذه الحوادث للظواهر الكونية، اثر هذه الحوادث في توطيد دعائم النظام الكوني. فقد طور المجتمع البدائي التنظيم، بفعل ازمة حادة أو حرب مداهمة إلى دولة[٢٤].

كما يمكن القول ان الصراع الموجود في اسطورة الخليقة البابلية تعكس صراع العراقيين الاوائل مع بيئتهم الطبيعية والسيطرة عليها وبناء الحضارة فان السهول الرسوبية التي نشأت فيها اولى الحضارات ان لم تكن مغمورة بمياه البحر، بحسب النظرية القديمة والا فبمياه الاهوار والاحراش الناجمة عن فيضانات الانهار، ثم استطاع الانسان بمرور الزمن ان يسيطر على تلك الاحوال الطبيعية العنيفة بما اقامه من سدود ونظام للري[٢٥].

خلق الأجرام السماوية

من خلال تفحص اسطورة الخليقة نلاحظ ان فيها فقرات كثيرة تشير إلى ادراك العراقيين القدماء للزمن وتصورهم له ففي الاسطر الاولى منها اشارت إلى وجود الزمن حتى قبل وجود الالهة وخلق السماء[٢٦].

ويتبين لنا ذلك في الاسطر الأولى من القصة:

٧- حينما لم يكن أي من الالهة قد جيء به إلى الوجود

٨- (حينما) لم يكونوا (بعد) قد وعوا اسماءهم ولم تكن اقدارهم (بعد) قد جرى رسمها.....

١٣- وتوالت ايام عديدة، وكرت سنون متطاولة[٢٧].

وفي اللوح الخامس ينصرف الاله مردوخ بعد انتصاره إلى شؤون التنظيم الداخلي واول ما يقوم به هو تنظيم التقويم[٢٨] فاتجه إلى خلق الاجرام السماوية[٢٩] التي تتيح ضبط الزمن وقام برفع الابراج السماوية التي يمكن ان تحدد بواسطتها السنوات وذلك بأن قسمها إلى أجزاء[٣٠]:

كما في الأسطر الآتية:

١- كون موضعا لالهة السماء العظام

٢- [على] مثالهم، ثبت الـ لوماشي (ابراج) الكواكب

٣- عرف السنة (و) حدد اقسامها[٣١].

وقد خصص ثلاثة نجوم لكل شهر من شهور السنة الاثني عشر[٣٢]، ونجد ان النظام النجمي الذي وضع في هذا اللوح يشير إلى تنظيم السماء في الأسطرلاب حيث ان هنالك ثلاثة نجوم لكل شهر من السنة[٣٣].

كما مبين في الاسطر الآتية:

٤- (لكل) من الاثني عشر شهرا ثبت ابراجا ثلاثة

٥- بعد (ان) حدد ايام السنة [بدلالة] (الابراج)

٦- اوجد موضع نيبيرو ليحدد به (الكل)

٧- كي لا يتجاوز احد حدوده (أو) يقصر عنها

٨- على مقربة منه اقام موصفي كل من انليل وايا[٣٤].

كما أنهم قرنوا الأيام التي تمثل الأسبوع بالكواكب[٣٥]، التي قرنوها بدورها بأسماء الالهة الخمسة[٣٦] وهي كالآتي:

اسم الكوكب	اسمه باللغة السومرية	اسمه باللغة الأكدية	الإله الممثل له
المريخ	^{MUL}UDU.IDIM.SA$_5$	ṣalbaṭānu	نركال[٣٧]
عطارد	$^{d.}$GU.UTU	Bibbu	نابو
المشتري	^{MUL} DINGIR. AMAR.UD	$^{d.}$marduk	مردوك
الزهرة	^{MUL} DILI.BAD	dil-bat	عشتار
زحل	GIR.TAB	Kajamānu	ننورتا

ثم انهم أضافوا يوماً للقمر **Sîn** ويوماً آخر للشمس **šamaš** وبذلك أصبحت أيام الوحدة مساوية لعدد الآلهة السبعة[٣٨].

فكان يوم الأحد مكرساً لعبادة الشمس والاثنين للقمر والثلاثاء للمريخ والأربعاء لعطارد والخميس للمشتري والجمعة للزهرة، وهكذا حتى نهاية الأسبوع[٣٩]. ومن ثم تتكرر عبادة كل إله من هذه الآلهة بعد مرور سبعة أيام[٤٠].

ويرى أحد الباحثين، أنه كان لدى البابليين يوم يسمونه **U$_4$ ḪUN.GÁ ŠÀ** "يوم راحة القلوب" ويقال عن تفسير هذه العبارة انها **ša-pa-tum** أي السبت ولم يكن هذا اليوم راحة وانقطاع عن العمل بل يوم تكفير عن الذنوب واسترضاء للآلهة وفي هذا اليوم تكف الآلهة فيه عن غضبها على الإنسان إذا قام بفروض اليوم[٤١].

كما تشير القصة نفسها إلى البوابتين الأسطوريتين اللتين تدخل الشمس وتخرج منهما عند الشروق وعند الغروب والفكرة نفسها متضمنة في التعبير:

ṣīt šamši	**بزوغ الشمس أي الشروق**
erib šamši	**غياب الشمس (الغروب)**

ويشير لفظ الشمال واليمين إلى الشرق والغرب[٤٢]. كما في الأبيات الآتية:

١) فتح بوابات في كلتا الجهتين.
٢) وقوى الأقفال شمالاً ويميناً[٤٣].

ثم تذكر القصة انه بعد ترتيب النجوم يلفت مردوك انتباهه للقمر حيث تشير **elâtu** إلى سطح الأرض فضلاً عن السماوات فبعد ان وضع القمر في **elâtu** يضع مردوخ الأشكال الشهرية ومسار القمر[٤٤].

كما يتضح ان دورة القمر كانت هي وحدة الزمن الرئيسة في بابل[٤٥]. المتمثلة بالبدر عندما يكون مقابل الشمس تماماً، ووجهه الثاني عندما يقع القمر بين الأرض والشمس في نهاية طلوعه في اليوم ٢٨-٢٩ من أيام الشهر القمري قبل ان تحجبه الارض عن الشمس أي قبل الغروب تماماً وهو الهلال[٤٦].

كما يتضح ذلك من الأبيات الآتية:

١١) وفي كبد السماء ثبت السمت (الارتفاع).
١٢) جعل القمر ساطعاً وأوكله بالليل.
١٣) خصها كائناً من كائنات الليل يتعين بها اليوم.
١٤) بلا انقطاع ظل ينعم (؟) بتاج (عليها).
١٥) في مطلع الشهر (أي عند بدء) الطلوع فوق البلاد.
١٦) تظل تشع بقرون معينة أياماً ستة.
١٧) في اليوم السابع بـ [نصـ]ف تاج.
١٨) مع تمام البدر سوف تقف إزاء (الشمس)، لدى منتصف كل [شهر]
١٩) عندما [تدركك] الشمس عند قاعدة السماء.
٢٠) أنقص (؟) من [القرص] وشكله عكسياً.
٢١) [خلال فترة المحـ]اق تقارب على مدار الشمس.
٢٢) في [التاسع والعشرين] لتقف إزاء الشمس ثانية[٤٧].

ويمكن القول ان العراقيون القدماء قسموا السنة إلى ١٢ شهراً قمرياً ستة منها تتكون من ثلاثين يوماً اما الستة الأخرى فكان كل منها يتكون من تسعة وعشرين يوماً[٤٨]. فيكون عدد أيامها ٣٥٤ يوماً[٤٩] وبذلك فهي تنقص عن السنة الشمسية بنحو (١/ ١١) يوماً[٥٠].

ورغبة من العراقيين القدماء للتوفيق بين السنتين الشمسيّة والقمرية لتنظيم أوقات احتفالاتهم وأعيادهم الدينية وضبط مواسم الزراعة وكل ما له علاقة بها؛ ونظراً لتراكم عدد الأيام الناقصة في السنة القمرية عن السنة الشمسية فقد قاموا بإضافة شهر كل ثلاث سنوات تقريباً لجعل مدة السنة القمرية متفقة مع عدد أيام السنة الشمسية[٥١]. ويحتمل انهم حاولوا ان يجعلوا السنة القمرية مؤلفة من ثلاثة عشر شهراً قمرياً في سنوات معينة ليتفق عدد أيام السنة القمرية مع عدد أيام السنة الشمسية[٥٢] وهكذا ابتدع الفلكيون مبدأ الكبس intercalation[٥٣]. ويرى الباحثون ان منشأ فكرة إدخال شهر إضافي من وقت لآخر على شهور السنة هو من ابتكار السومريين[٥٤]. إلا انه قلما كان هناك اتفاق بين المدن المختلفة على موعد الإضافة مما تسبب بحدوث إرباكا في التقويم لاختلافه بين تلك المدن[٥٥].

ويرى الباحث نيوگيباور (Neugebur) أن كبس السنة لم يتم بشكل منتظم إلا بعد ٥٠٠ ق.م إلا ان الباحث ساتون يؤكد أنّ ذلك كان معروفاً منذ سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٤ق.م) وإبان حكم حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) ودليله وجود الشهر الثالث عشر في رسائل حمورابي[٥٦]. وكان الملك هو الذي يقرر إضافة الشهر الكبيس، وكانت هذه الإضافة من اجل تنظيم موعد تسليم الضرائب[٥٧]. ويمكن ملاحظة ذلك من الرسالة التي أرسلها الملك حمورابي إلى سين – ادينام وهو أحد حكامه:

"السنة (فيها) نقص شهر أيلول الثاني الذي أدخلت لتدونه وستصل ضريبة اكسو فوراً في الخامس والعشرين (من) شهر تشرين إلى مدينة بابل لتصل في الخامس والعشرين من أيلول الثاني، إلى مدينة بابل"[٥٨].

وفي رسالة أخرى مبعوثة لأحد الملوك نقرأ:

"أمر الملك إلى زيروتي والى كاهن دير – ليطمئن قلبكم عسى ان تكونو بخير . **لتكن على علم سيكون هناك آذار كبيس (الثالث عشر).** **أدِ احتفال وطقوس آلهتي في الشهر الملائم"**[٥٩].	

وبالاعتماد على الرسائل التي ذكرت إعلان السنة الكبيسة اقترح كل من الباحثين دوبرشتاين Dubberstein وباركَر Parker بأنه خلال العهد البابلي القديم كانت الأوامر

الرسمية لكبس السنة تأتي من الملك بينما خلال مدة الاحتلال الأخميني[٦٠] (٥٣٩-٣٣١ق.م) التالية كان الموظفون والكهنة في بابل هم الذين يعطون الأوامر[٦١].

خلق الأرض

كما ذكرنا انه بعد ان شق مردوخ جسد تيامة إلى شطرين رفع احدها لخلق السماء وعلى هذا الأساس فان خلق الأرض لم يرد بصورة صريحة في أسطورة الخليقة البابلية ولكن يمكن القول ان هنالك ثلاثة احتمالات لخلقها وهي:

١. ان الأرض سقف المياه العمق (ابسو) وبالتالي مسكن (ايا) هو الأرض نفسه ويوافق مدلول اسم (ايا) في السومرية (انكي) حيث يتكون من (ان) وتعني سيد و(كي) الأرض فيصبح معنى اسمه (سيد الأرض) [٦٢].

٢. خلق مردوخ من شطر تيامة الاخر الأرض.

كما مبين في الاسطر الآتية من اللوح الرابع:

١٤٢- اتخذ مكانة قبالة (ابسو)، مقام نوديمود

١٤٣- ذرع الاله أبعاد الـ ابسو

١٤٤- بمضاهاته، اقام بناء عظيما، (باسم) ايشارا

١٤٥- الهيكل العظيم، (ايشارا) الذي اقامه سقفا سماويا

١٤٦- حديث جعل "انو" و"انليل" و"أيا" (من ثم) يتخذونه مسكنا لهم[٦٣].

ويبدو ان المواد الأولية المكونة للأرض كانت معدة من قبل الاله انو اله السماء وخلقه للتراب وبنفس الوقت للرياح الاربع التي تثيره وتسبب حركته وهكذا فقد استقرت بالنتيجة موجات الاتربة على المحيطات المائية وظهرت بنفس الوقت المستنقعات وفوق هذه المادة المعمولة من الأرض والطافية بشكل غير مستوٍ استقاء الاله مردوخ من القسم الثاني من جثة الالهة تيامة ليكمل به الشكل الثاني لصورة الأرض، ويبدو ان المعبد اول بناء شيد على الأرض من قبل الالهة وسمي الايشارا والذي يعني "بيت السماء"[٦٤].

٣. ان الجزئين الرئيسين من الكون يتمثلان في باطن الأرض وفي السماء ومن هنا أهملت الأسطورة الإشارة إلى عملية خلق الأرض باعتبارها جزءا قائما بذاته، ولكنها في نفس الوقت أشارت إلى المادة التي ستخلق منها، أي الشطر الثاني من جسم تيامة[٦٥].

وهناك اسطورة بابلية تسمى (قصة اريدو) تتناول خلق الأرض من قبل الاله مردوخ على النحو الآتي:-

"مردوخ على سطح المياه

ظفرا حصرا
وضع شيئا من التراب
وخلطه مع الحصير
وهكذا كون لوحا صلبا فوق المياه وهي الأرض"[٦٦].

يتضح من خلال النص ان الاله مردوخ يقوم بحياكة بناء من القصب فوق المياه وذلك بعد خلقه للتراب الذي جعله مكدساً فوق البناء، وبعد خلقه لمبعد الايزاكيل في بابل، ويبدو ان الأرض قد استعيض عنها بالحصير المصنوع من القصب المغطى بالتراب ويراد بها هنا المكان المقدس بابل. ومن المحتمل أيضا ان يكون اصل المفهوم هذا رمزا لمدينة اريدو وابدل المكان، بعد ازدهار بابل على يد السلالة الامورية بمدينة بابل[٦٧].

خلق النبات والحيوان

لابد من الاشارة إلى انه لم يتم العثور في اجزاء قصة الخليقة على ذكر لكلام عن خلق حياة نباتية، أو حيوانات. ويمكن القول ان الجزء الخاص بذلك من الملحمة قد يكون من ضمن ما دون على الاجزاء التي فقدت من اللوح الخامس[٦٨] الذي لم يتم سوى انقاذ حوالي ٢٢ سطرا من الابيات المائة والاربعين التي يحتمل انه كان يتضمنها. الا انه هنالك اشارة إلى خلق الحياة النباتية في اللوح السابع من السطر الثاني حيث يشار إلى الاله مردوخ على انه خالق القمح والبقول دون الاشارة إلى الوقت الذي خلقت فيه[٦٩].

كما مبين في الاسطر الآتية من اللوح السابع:

١. أسارو، واهب الأرض الخصبة، موجد الاهوار.
٢. خالق الحبوب والبقول، الذي يجعل العشب الاخضر ينمو.

الاستنتاجات

١. ان المياه الازلية كانت أصل الوجود.
٢. كل نظريات التكوين العلمية تتحدث عن نشوء الكون من مادة ما بدائية، ووجود ماء سابق. كما اثبت القران الكريم فكرة الوجود السابق على الخلق عندما قال "هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء" (سورة هود). كما أشار النبي محمد (ﷺ) في الحديث الشريف إلى نفس الموضوع عندما اجاب عن سؤال اين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق؟ فقال: كان في عماء (والعماء هو الفيم الرقيق الذي يحول بين الناضر وبين الشمس).
٣. ان الارض والسماء تكونتا نتيجة لانفصال بعضهما عن بعض بعد ان كانتا كتلة واحدة متمثلة بـ تيامة.
٤. يمكن القول ان قصة الخليقة تتكون من جزءين، يعالج الجزء الاول منها أصل معالم الكون الرئيسة، أما الثاني فيتضمن كيفية تأسيس نظام العالم الحالي. ولكن الموضوعين غير منفصلين عن بعضهما بشكل تام. فالأحداث في القسم الثاني للقصة يشار إليها في أحداث القسم الأول، وتتداخل أحيانا فيها.
٥. من خلال تفحص قصة الخليقة نلاحظ ان فيها مواطن كثيرة، تشير إلى ادراك العراقيين القدماء للزمن وتصورهم له ففي الابيات الاولى اشارات إلى وجود الزمن حتى قبل وجود الالهة وخلق السماء.
٦. تؤكد النصوص المسمارية المكتشفة ان العراقيين القدماء كانت لهم معرفة دقيقة بعلم الفلك منذ بداية الالف الثالث قبل الميلاد وعلى اقل تقدير والذي قام عليه أسس التقويم ووفقا لذلك انبثق التقويم من الفلك الذي يعتمد على مراقبة حركة النجوم والكواكب.
٧. للقمر أهمية لدى العراقيين القدماء اذ اتخذ تقويما طبيعيا من خلال تقسيمه إلى أربع وحدات تبدأ الأولى مع ظهور الهلال، ويمثل نصف البدر بداية الوحدة الثانية اما اكتماله فهو بداية الوحدة الثالثة فالمحاق الذي يمثل الوحدة الرابعة.
٨. لقد كان البابليون يعتقدون بان الاجرام السماوية انما هي كائنات الهية وان لتحركاتها الظاهرة دلالة ومغزى بالنسبة للبشر. فنشأ علم ديني فلكي دقيق عرفت في الكواكب بأسماء الالهة.
٩. يستطيع الباحث من خلال استقصائه لجذور ومدلولات أسطورة الخليقة البابلية ان الفيضانات السنوية في بلاد الرافدين كانت من مفهوم الفرد عبارة عن تجسيد لطغيان المياه الازلية الأولى (ابسو وتيامة) وما كلف ذلك الالهة الحديثة من صراع في سبيل

كبح جماحها. ولذلك فقد كان من المحتم على الالهة أو ممثليها في الأرض كالملوك والحكام والكهنة خوض هذه المعركة وكسبها كل عام مثلما فعلت الالهة في الدهور الأولى والا تهدد الكون بالفناء. لقد كان هذا الايمان بأسطورة الخليقة البابلية أو التكوين السبب في ظهور ما يعرف باحتفال رأس السنة الذي بقي يقام سنويا في بلاد الرافدين إلى قرون متأخرة جداً من تاريخ الحضارة البابلية ولعل من أهم وأبرز الطقوس المتشعبة عن هذا الاحتفال قيام الملك بتقمص شخصية الاله مردوخ، بطل أسطورة التكوين البابلية وبمحاربة كنكو قائد قوات تيامة والقضاء عليها في مسرحية دينية وهي عبارة عن تمثيل لوقائع أسطورة التكوين.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦، ص٧٢.

(٢) باقر، طه وفرنسيس، بشير، "الخليقة واصل الوجود"، سومر، مج٥، ١٩٤٩، ص١-٢.

(٣) هايدل، الكسندر، الخليقة البابلية قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم، ترجمة: ثامر مهدي محمد، بغداد، ٢٠٠١، ص١٠-١١.

(٤) باقر، طه، مقدمة...، المصدر السابق، ص٧٢.

(٥) باقر وفرنسيس، المصدر السابق، ص٣.

(٦) برجرد، جميمس، اساطير بابلية، ترجمة: سلمان التكريتي، بغداد، ١٩٧٢، ص٣٤.

(٧) الخفاجي، مزهر وخطاوي، ماجد، ثنائية الفكر والحضارة في تاريخ العراق ومصر القديم، بيروت، د.ت، ص٧٠.

(٨) جاكوبسن، ثوركلد، ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، بيروت، د.ت، ص٢٠٠.

(٩) هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص١٦-١٧.

(١٠) علي، فاضل عبد الواحد، سومر أسطورة وملحمة، بغداد، ١٩٩٧، ص١١٨.

(١١) جاكوبسن، ثوركلد، المصدر السابق، ص٢٠٠.

(١٢) الخفاجي، مزهر، خصائص الشخصية العراقية والشخصية المصرية في التاريخ القديم، بغداد، ٢٠١٤، ص٢٤٥.

(١٣) علي، فاضل عبد الواحد، "المعتقدات الدينية"، في: موسوعة الموصل الحضارية، ج١، موصل، ١٩٩١، ص٣١٥. كذلك ينظر: موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، القاهرة، د.ت، ص٨٣.

(١٤) السواح، فراس، مغامرة العقل الاولى (دراسة في الاسطورة – سوريا وبلاد الرافدين)، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٢.

(١٥) الحوراني، يوسف، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الاسيوي القديم، بيروت، ١٩٧٨، ص١٣٠.

(١٦) هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص٢١-٢٢.

(١٧) باقر، طه، "خواطر واراء في تراثنا الحضاري للمناقشة"، افاق عربية، ع١٠، ١٩٧٧، ص٤٢.

(١٨) هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص٢٣-٢٥.

(١٩) جاكوبسن، ثوركلد، المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٢٠) سركيس، احسان، الاداب القديمة وعلاقتها بتطور المجتمعات، بيروت، ١٩٨٨، ص١٤٢.

(٢١) موسكاتي، سبتينو، المصدر السابق، ص٨٥.

(٢٢) جاكوبسن، ثوركلد، المصدر السابق، ص٢١٣.

(٢٣) هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص٥٤.

(٢٤) جاكوبسن، ثوركلد، المصدر السابق، ص٢١٤.

(٢٥) باقر، طه، مقدمة....، المصدر السابق، ص٨٢.

(٢٦) باقر، طه، "مفهوم الزمن في حضارة وادي الرافدين"، مجلة افاق عربية، ع١٠، ١٩٧٧، ص٤٢.

(٢٧) هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص٢٢.

(28) Jacobsen, Th., The "Cosmos as A state" in The Intellectual Adventure of Ancient Man, London, 1977, P. 181.

(٢٩) السواح، فراس، المصدر السابق، ص١١٧.

(٣٠) هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص١٥٢.

(31) Longdon, S., The Babylonian Epic of creation, Oxford, 1923, P. 148-153.

(32) Baigent, M., From The Omens of Babylon Astrology and Ancient Mesopotamia, England, 1994, P. 161.

(33) Horowitze, W., Mesopotamian Cosmic Geography, U.S.A., 1998, P. 115.

(34) Dalley, S., Myths from Mesopotamia creation, The Flood, Gilgamesh, and Others, Oxford, 2000, P. 255.

كذلك ينظر: هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص٥٥.

(35) Rochberg, F., "Astronomy and calendars in Ancient Mesopotamia", in civilizations of the Ancient Near East, Vol. 3, London, 1995, P. 1937.

(36) Macqueen, J. G., Babylon, London, 1964, P. 211.

(٣٧) الراوي، فاروق ناصر، "المعارف والعلوم البحتة العراقية القديمة في موكب الحضارة"، في: العراق في موكب الحضارة، ج١، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٩٥، كذلك ينظر:

Martin, L., Caledonia – calendar, EA, Vol. 5, 1967, P. 192.

(٣٨) الطائي، ابتهال عادل، "علم التاريخ لدى سكان وادي الرافدين، مجلة آفاق عربية، العدد ١٢/١١، ٢٠٠٠، ص ٣٣. كذلك ينظر:

Martin, L., Op. Cit, P. 192.

(٣٩) الأسود، حكمت بشير، "قدسية العدد سبعة في حضارة وادي الرافدين"، مجلة آفاق عربية، العدد ٩، ١٩٨٥، ص ٩٦.

(٤٠) برستد، جيمس هنري، انتصار الحضارة، ترجمة: احمد فخري، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٤١) أنيس فريحة، دراسات في التاريخ، بيروت، ١٩٨٠، ص١١٠-١١١ كذلك ينظر:

Langdon, S., the Babylonian Epic of creation, oxford, 1923, P. 161.

(٤٢) باقر وفرنسيس، المصدر السابق، ص ٢٧. كذلك ينظر:

هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص ٥٦.

(43) Dalley, S., Op. Cit, P. 256.

(44) Horowitze, W., Mesopotamian Cosmis Geography, USA, 1998, P. 116.

(٤٥) هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٤٦) باقر وفرنسيس، المصدر السابق، ص ٢٧.

(47) Dalley, S., Op. Cit, P. 256.

كذلك ينظر: هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص٥٦.

(48) Parise, F., The Book of calendars, New Jersey, 2002, P.3.

(49) Cryer, F.H., "Chronology Issues and Problems", in Civilizations of the Ancient Near East, vol. 2, New York, 1995, P. 657.

(50) Rochberg, F., Op. Cit, P. 1931.

(51) Starr, C.G., A History of the Ancient world, Oxford, 1965, P. 37.

(٥٢) باقر، طه، مفهوم الزمن، المصدر السابق، ص٤٣.

(٥٣) باقر، طه، لمحات، المصدر السابق، ص١٨.

(54) Thompson, R. C., "The influence of Babylonia", CAH, Vol.3, 1965, P.238.

(٥٥) الزرقي، محسن أحمد عبدالله، المصدر السابق، ص٤٩.

(٥٦) الراوي، فاروق ناصر، العلوم والمعارف، المصدر السابق، ص٣٢٠.

(٥٧) رشيد، فوزي، علم الفلك، المصدر السابق، ص١٠٧-١٠٨.

(58) Frankena, R., Briefe Aus Dem British Museum, Leiden, 1966, P. 70-71.

(59) Parpola, S., Letters from Priests to the Kings Esarhaddon and Assurbanipal, SAA, Vol. 13, Helsinki, 1998, P. 6.

(٦٠) **الاخمينيون:** هم من الأقوام الهندية الأوربية التي استقرت في بلاد إيران في مطلع الألف الأول قبل الميلاد في الجزء الذي سمي باسم بلاد فارس وهو الجزء الجنوبي الغربي من إيران وكان هؤلاء الفرس يجاورون العيلامين. ينظر: باقر، طه، المقدمة، المصدر السابق، ص٥٧٤.

(61) Conen, M.E., The Cultic Calendars of The Ancient Near East, Maryland, 1993, P. 6.

(٦٢) القيسي، محمد فهد، قصة الخليقة بين الالواح المسمارية والكتب السماوية، دمشق، ٢٠٠١، ص٩٢.

(٦٣) هايدل، الكسندر، المصدر السابق، ص٥٣-٥٤.

(٦٤) كاسان، ايلينا، "مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين"، سومر، مج٣١، ١٩٧٥، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٦٥) القيسي، المصدر السابق، ص٩٢.

(٦٦) بوتيرو، جان، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، بغداد، ١٩٧٠، ص٩٦.

(٦٧) كاسان، ايلينا، المصدر السابق، ص٣٣٤.

(٦٨) هايدل، المصدر السابق، ص١٥٤.

(٦٩) المصدر نفسه، ص٦٨.